﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ [هود: 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التَّصريحُ بالعذابِ بعدَ التَّلويحِ به

لَمّا ختمَ الآيةَ السّابقةَ بالإشارةِ إلى تهديدِهم بذكرِ إحاطةِ اللّهِ تعالى بأعمالِهم، أتبعَهُ هنا بما يصدِّقُ ذلكَ، ويؤكِّدُهُ بأنّهُ ماضٍ في عملِهِ، وليسَ بتاركٍ منهُ شيئًا ممّا أُمرَ به، وزادَهُم تهديدًا بأن خاطبَهُم أنِ اثبتوا على ما أنتمُ عليهِ من عملٍ؛ فسوفَ يأتيكُم وعدٌ لا خُلفَ فيهِ، يتبيّنُ فيهِ الصّادقُ منَ الكاذبِ، وإنْ تأخّرَ زمانُهُ فارتقبوهُ، وأنا معكُم رقيبٌ[1]، فالمناسبةُ بينَ الآيتين هو التَّصريحُ بالعذابِ بعدَ التَّلويحِ به، وتعيينُهُ بعدَ الإشارةِ إليه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾: أصلُ مادّته: (مكن)، فالميمُ والكافُ والنّونُ كلمةٌ واحدةٌ[2]، ويدورُ معناها حولَ رسوخِ الشّيءِ مُتجمّعًا في باطنٍ يلتئمُ عليه[3]، والمكانةُ: الحيالُ والنّاحيةُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾؛ أي: على حيالِكم وناحيتِكم. والمكانةُ: المنزلةُ والموقعةُ والمَحلّةُ[4] والمكانةُ: التّمكُّنُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾؛ أي: على تَمكُّنِكُم من أمرِكُم[5]، والمكانةُ هنا بمعنى: الطّريقةِ، وهو ما يؤيّدُهُ سياقُ الآيةِ الكريمةِ. واختُلف في ميم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/365 - 366.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكن).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مكن)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مكن).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).

(مكان ومكانة) فقيل: هي أصليةٌ وهما منْ مكن يمكن، وقيل: هما من الكون فالميم زائدة، فيكون المعنى على الأوّل: اعملوا على تَمكُّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، وعلى الثاني: اعملوا على جِهتكم وحالكم التي أنتم عليها[1].

2) ﴿يُخۡزِيهِ﴾: أصلُ مادّته (خزو)، فالخاءُ والزّايُ والحرفُ المُعتَلُّ أصلانِ: أحدُهُما السّياسَةُ، والآخرُ الإبعادُ. فأمّا الأوّلُ فقولُهُم خَزَوتُهُ، إذا سُستَهُ. وأمّا الآخرُ فقولُهُم: أخزاهُ اللَّهُ؛ أي: أبعَدَهُ ومَقَتَهُ. والاسمُ الخِزيُ[2] والخزيُ: ذُلُّ الحيّ وطواعيتُه وانقيادُهُ لِما يُرادُ؛ لكسر حدّةِ استعصائِه أو رغبتِهِ. ومنه: خَزا نفسَه: مَلَكها وكفَّها عن هواها. ومنَ الأصل: خَزيَ منه، كَرَضيَ، وخَزِيَه: استحيا؛ أي: انقبضَ وانكسرَت حِدَّتُه وشموخُه لقاهر، بوُقوع عذابٍ عليه يقهرُهُ، أو قبيحٍ منه يُعَيِّرُ به، أو عجزٍ عنِ المواجهة. وكلُّ ما في القرآنِ من هذا التّركيبِ فهو منَ الخِزي بالمعنى المذكورِ[3]، ومنه هذا المَوضِع.

3) ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾: أصلُ مادّته: (رقب)، فالرّاءُ والقافُ والباءُ أصلٌ واحدٌ مُطَّرِدٌ، يدلُّ على انتِصابٍ لِمراعاةِ شيءٍ. من ذلكَ الرَّقيبُ، وهو الحافِظُ. يُقالُ: منهُ رَقَبتُ أرقُبُ رِقبَةً ورِقبانًا[4]. ورقبتُ الشّيءَ أرقبُه رِقبةً ورِقبانًا؛ أي: انتظرتُ. وقولُه تعالى: ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ [طه: 94]؛ أي: لم تنتظرْ. والعلاقةُ بين انتصاب الرّقبةِ وبين الانتظارِ تتّضحُ في أنَّ النّاظرَ لشيءٍ يرفعُ رقبتَهُ إليه[5]، والتّرقُّبُ هنا بمعنى الانتظار.

4) ﴿رَقِيبٞ﴾: الرَّقيبُ، هو الحافِظُ. يُقالُ: منهُ رَقَبْتُ أرقُبُ رِقبَةً ورِقبانًا[6]. والرَّقيبُ: الحارسُ يُشرِفُ على رِقبةٍ، يحرُسُ القومَ، والرَّقيبُ: الحافِظُ[7]، والرّقيبُ: النّاظرُ[8]. والرّقيبُ: المُنتظِرُ[9]، وهو المعنى المرادُ هنا.

(1) السّمين الحلبي، الدر المصون: 5/158.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خزو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خزو - خزى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رقب).
(5) الرّاغب، المفردات: (رقب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رقب).
(7) الخليل، العين: (رقب).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (رقب).
(9) الخليل، العين: (رقب).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ الفرقِ بينَ المتضادِّين في المنالِ والمآلِ

تُبيِّن الآيةُ قوَّةَ شعيبٍ عليه السلام في إيمانِه باللّه تعالى، بإصراره على دعوتِه، وتهديد قومِه بشكلٍ مباشرٍ وواضحٍ، بعد التّلويحِ والتّلميحِ والنّصحِ والإرشادِ، ويُخبرُهم بأنَّه عاملٌ على طريقتِه الّتي يرتضيها، وينتظرُ منالَها ومآلَها، وهم سوف يعلمون مَنْ يأتيه عذابٌ يذلُّه عقابًا له، ومَنْ هو كاذبٌ فيما يدَّعيه، فلينتظروا ما يقضي به اللّهُ، إنّه معهم مُنتظِرٌ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواوِ، ودلالةُ تَكرارِ النّداءِ:

عطفُ النّداءِ على النّداءِ تأكيدٌ للتّنبيهِ والتّهديدِ

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ عاطفةٌ، وهو من بابِ عطفِ النّداءِ على مثيلِه؛ لأجلِ زيادةِ التّنبيهِ وتحقيقِه، والمقصودُ عطفُ الجملةِ الّتي تلي هذا النّداءَ على الجملةِ الّتي وليتِ النّداءَ الأوّلَ[2]، وكلتاهُما فيه إشارةٌ إلى التّهديدِ والوعيدِ، وفي ابتداءِ الخطابِ بالنّداءِ هنا مزيدُ اهتمامٍ بالمَقولِ؛ فإنَّ النّداءَ فيه استرعاءُ أسماعِ المنادينَ[3].

نكتةُ نداءِ القومِ دونَ الرّهطِ:

رقَّةُ الأنبياءِ ورحمتُهم أغلبُ من شدَّتِهم وعنفِهم

في تكرارِ النّداءِ بعنوانِ القومِ دونَ الرّهطِ ونحوِه، يومئ إلى أنَّ شعيبًا عليه السلام قد رقَّ لحالِهم عندَما توعّدهُم؛ فإنَّ شأنَ النّبيِّ أن يحبَّ لقومِه ما يحبُّ لنفسِه[4]، وليسَ من حرصِ النّبيِّ والرّسولِ كحرصِه على هدايةِ قومِه بأيّةِ طريقةٍ وأيّ خطابٍ، وهو نداءٌ لكلِّ قومِه لا لخصوصِ رهطِه، فإنَّ الرّحمةَ تعمُّ، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ رحمةَ الأنبياءِ والأولياءِ لا تخصُّ المقرَّبين نسبًا منَ العشيرةِ والقبيلةِ، بل تعمُّهُم وغيرَهُم.

(1) مجموعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 232.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/152.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ90.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ90.

غرضُ الأمرِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

إظهارُ التَّيئيسِ منَ الامتثالِ للنّصحِ

غرضُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ أفادَ أمرين:

الأوّل: "التّسويةُ والتّخليةُ لإظهارِ اليأسِ من امتثالِهم للنّصحِ بحيثُ يُغيِّرُ ناصِحُهُم نُصحَهُم إلى الإطلاقِ لهم فيما يُحبّونَ أن يَفعلُوا"[1]، وذلكَ غايةُ الخيبةِ والخسرانِ.

الآخر: التّهديدُ والتّخويفُ؛ أي: اعملوا على وجهِ التَّمكُّنِ من مكانتِكُم وحالِكُم الّتي أنتُم عليها؛ أي: لكُم الخيارُ في أن تعملُوا بي ما تُحبُّونَ[2]، وفي ذلكَ مزيدُ استحقاقٍ للعقوبةِ واقترابٍ منها للمأمورِ.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّهكّميّةِ:

تنزيلُ الميؤوسِ منه منزلةَ مَن تُرجى إجابتُه

التّعبيرُ بفعلِ الأمرِ ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ متأتٍّ على وجهِ الاستعارةِ؛ ففيهِ تشبيهُ المغضوبِ عليهِ الميؤوسِ من ارعوائِهم، بمنْ يُؤمرُ أن يفعلَ ما كانَ يُنهَى عنهُ، وأن يصيرَ ذلكَ المنهيُّ واجبًا، وذلكَ غايةُ التّهكُّم والسّخريةِ[3].

نكتةُ حذفِ مفعولِ ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

تنزيلُ المُتعدّي منزلةَ اللّازمِ؛ لبيانِ أنَّ أعمالَهم المألوفةَ راسخةٌ في الكفرِ

يقتضِي فعلُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ مفعولًا، غير أنّه حذفهُ تنزيلًا للفعلِ المتعدّي منزلةَ اللّازمِ إثباتًا للفاعلِ مُطلقًا[4]، وتقويةً لهُ، فالمعنى: أنّ يا هؤلاءِ اعملُوا عملَكُم الّذي ألفتُمُوهُ، وهو دأبُكُم، وهو الإعراضُ عن دعوتِهِ والتّكذيبُ بدينِه[5]؛ أي: اعملوا أعمالَكم المعهودةَ منَ الكفرِ والعنادِ والتَّكذيبِ، على الغايةِ منَ التّمكُّنِ، وبكلِّ ما بوسعِكُم عَمَلُهُ، وبكلّ طاقتِكُم من إيصالِ الشّرِّ إليّ[6]؛ فليسَ ذلكَ بضائري، وهو تخييرٌ يشِي بعاقبةِ السّوءِ بعدَهُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ90.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/152.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ90.
(4) ناظر الجيش، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: 4/1764.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ90.
(6) ابن عادل، اللّباب: 10/554.

بلاغةُ الاستعارةِ في استعمالِ حرفِ الاستعلاءِ:

مَن لازمَ عملًا، وتمكَّنَ منه، فهو حسابُه وجزاؤه

استُعملَ حرفُ الاستعلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ دونَ اللّام؛ لأنّه مُقترِنٌ بالمكانةِ، وهي الحالةُ الّتي يتمكَّنُ منها صاحبُها من عملِه؛ أي: اعملوا على ما أنتُم عليه[1]، فالّذي يلائمُ التّمكُّنَ حرفُ الاستعلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾، ولا يناسبُهُ حرفُ الغايةِ (إلى)؛ أي: اعملوا مُتمكِّنينَ مُلازمينَ على المكانةِ المعهودةِ الّتي ستوردُكُمُ النّارَ.

واستعملَ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ للتَّمكُّنِ، وهو من بابِ الاستعارةِ التّبعيّةِ؛ لمناسبتِها لاستعارةِ المكانةِ؛ لأنَّ الاستعلاءَ مُناسِبٌ للمكانِ، فهي استعارةٌ مُرشّحةٌ لحصولِ التّلاؤمِ بينَ المشبّهِ والمشبّهِ بهِ، والمعنى: أنّه خاطبَهُم بأنْ يلزموا حالَهُم؛ لأنّه لا مَطمعَ لهُ في اتّباعِهم[2].

التّعبيرِ بـ ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾ بينَ الاستعارةِ والكنايةِ:

المكانةُ استعارةٌ أو كنايةٌ لحالةِ المرءِ المحيطةِ بهِ، وفيها تظهرُ أحوالُهُ

استعمالُ المكانةِ في قولِه تعالى: ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾ تعبيرٌ يدلُّ على المكانِ، وأنّثهُ كتأنيثِ المقامةِ للمقامِ، والمكانةُ إمّا أن تكونَ مستعارةً لتلبُّسِ المرءِ بالحالةِ الّتي تحيطهُ وتحويهِ، فهي من بابِ تشبيهِ المحسوسِ بالمعقولِ، فالحالُ الّتي هُم عليها مكانٌ ومَوضِعُ قرارِ عملِهم، ومعناهُ: اثبتوا على ما أنتُم عليهِ منَ الكفرِ والعداوةِ[3]، فالتّعبيرُ بالمكانةِ عنِ المكانِ توصيفٌ للحالةِ؛ أي: اعملوا على حالاتِكُم الّتي أنتُم عليها، وهو استعمالٌ مَجازيٌّ كما يُقالُ: "مكانةُ فلانٍ في العلمِ فوقَ مكانةِ فلانٍ، يُستعارُ منَ البِقاعِ إلى المعاني"[4]، وإمّا أن تكونَ كنايةً عن أحوالِهِ؛ فأحوالُ المرءِ تَظهرُ في مقامِهِ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 11/538.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ91.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاويّ: 5/113.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/203.

ومكانِهِ ومستقرِّهِ؛ لذلكَ يقالُ للمرءِ: أنِ اثبُتْ على مكانتِكَ، ولا تتحوّلْ عنها[1].

القراءاتُ القرآنيَّةُ:

قراءةُ الإفرادِ دالَّةٌ على الكفرِ العامِّ، وقراءةُ الجمعِ على أنواعِ المفاسدِ

قرأ الجمهورُ: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بالإفرادِ، فيما قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مكاناتكم) جمع مكانةٍ[2]؛ فقد وجّهَ خطابَهُ لكلّ واحدٍ منهم؛ أي: ليعملَ كلُّ واحدٍ منكُم على مكانتِهِ[3]، وفي ذلكَ مزيدُ تهديدٍ ووعيدٍ لكلِّ مُخاطَبٍ، فكأنّ العذابَ سيقعُ عليهِ وحدَهُ، أو على جَعلِ الإفرادِ لحالةِ الكفرِ العامَّةِ، وجهلِ المكاناتِ لأحوالِ الظّلمِ والكفرِ والفسقِ والفسادِ المُتعدِّدةِ.وقيل: مَنْ أفرد فلإرادة الجنس ومَن جمَع فليطابقَ ما بعدَها؛ فإنّ المخاطَبين جماعةٌ وقد أضيفت إليهم[4].

دلالةُ تأنيثِ ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾:

المرادُ بالمكانةِ الحالةُ الّتي يُلازمونها لا المكانُ

جاءَ لفظُ ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بالتّأنيثِ فلم يقُلْ: (مكانكُمْ)؛ لأنّهُ أرادَ بالمكانةِ القدرةَ والحالةَ لا البقعةَ منَ الأرضِ ونحوها؛ والمعنى: أنْ يعملوا على حالِ كونِهم على الغايةِ منَ المكنةِ والقدرةِ، وكلِّ ما في وسعِهم وطاقتِهم في عملِ الشّرِّ، وهو أيضًا سيعملُ ما آتاهُ اللّهُ منَ القدرةِ، ثمَّ يتبيّنُ مَن هو الجاني على نفسِهِ[5].

علّةُ الفصلِ:

تعليلُ الأعمالِ قوّةٌ في سياقِ المضادَّةِ

فُصلَت جملةُ ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّها جملةٌ تعليليّةٌ لمفادِ التّسويةِ في فعلِ الأمرِ ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾؛ والمعنى: أنْ لا يضرّني تصميمُكُم وتمسّكُكُم على ما أنتُم ماضونَ فيهِ من ضلالِكُم[6]، وأنا مُوقِنٌ بحسنِ عاقبتي وسوءِ عاقبتِكُم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ90 - 91.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/263.
(3) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 150.
(4) السمين الحلبي، الدّر المصون، 5/158.
(5) زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 4/689.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ91.

سرُّ التّعبيرِ باسم الفاعلِ:

المؤمنُ ثابتٌ على الحقِّ مستمرٌّ فيه

عُبِّر باسم الفاعلِ، وهو الفعلُ الدّائمُ عندَ بعضِ النّحويّينَ، لا سيّما الكوفيّون[1]؛ فاسمُ الفاعلِ هنا ﴿عَٰمِلٌ﴾ مُرادٌ به الاستمرارُ على العملِ، دائبٌ عليهِ، غيرُ تاركٍ لهُ منَ الإيمانِ باللّهِ، والدّعاءِ إلى دينِهِ[2]، فقد جمعَ بين الثَّباتِ والاستمراريَّةِ والتَّجدُّدِ.

بلاغةُ الحذفِ في المتقابلات:

الإيماءُ بأنَّ عملَ الخيرِ قائمٌ في كلِّ حينٍ

حُذِفَ مُتعلَّقُ ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ اختصارًا، وليعمَّ المتعلَّقاتِ جميعًا؛ فإنّ هذهِ الجملة في مقابلةِ قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، وفيهِ دلالةٌ على ثباتِهِ في نصحِهِم، ودعوتِهِ لنجاتِهِم، لكنّهُ حذفَهُ للإشعارِ بأنّهُ لا يقتصرُ على حالتِهِ تلكَ، بل هو ماضٍ في ذلك في الأحوالِ كلِّها لا يعتريهِ نقصٌ، ولا يثبِّطُهُ إعراضٌ[3].

المتشابهُ اللّفظيُّ:

الإفرادُ باعتبارِ الانفرادِ، والجمعُ باعتبارِ الكثرةِ

أُفرِدَ اسمُ الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٌ﴾، وجُمِعَ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾ [هود: 121]؛ لأنَّ الحوارَ في الآيةِ الأولى كانَ بينَ نوحٍ عليه السلام وحدَهُ وقومِهِ فناسبَهُ الإفرادُ ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾، أمّا الآيةُ الثّانيةُ فقد سبقَها قولُهُ تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود: 120]؛ للدّلالةِ على أنَّ للرّسولِ ﷺ منَ الأتباعِ الكثيرَ فناسبَهُ التّعبيرُ بالجمعِ ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾.

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

ما وقعَ في النُّفوسِ منَ التّهديدِ نطقَ به اللّسانُ بالوعيدِ

قولُهُ تعالى: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عن سؤالٍ مُقدَّرٍ بعدَ أن هدّدَهُم؛ فكأنّهم قالوا: فماذا سيكونُ الحالُ إذا عملنا

(1) ابن السّرّاج، الأصول في النّحو: 1/183.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ91.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/20.

نحنُ على مكانتِنا، وعملتَ أنتَ يا شعيبُ؟ فكان الجوابُ: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وهو تهديدٌ ووعيدٌ صريحٌ لهم.

بلاغةُ الفصلِ والوصلِ في جملة ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

الفصلُ في الجملةِ ههنا أكملُ في بابِ الفظاعةِ والتّهويلِ

جملةُ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مفصولةٌ عمّا سبقَها ظاهرًا، موصولةٌ وصلًا خفيًّا بدلالةِ الاستئنافِ، وآيةُ ذلكَ أنّه لم يصلْها بالفاءِ كما في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [الأنعام: 135]؛ لأنّهُ أرادَ هنا أن يجعلَهُ جوابًا لسؤالٍ مُقدَّرٍ بعدَ صدرِ الآيةِ الدّالِّ على عملِهم وعملِه، أنْ ماذا بعدَ ذلكَ؟ فجاءَ الجوابُ من غيرِ الفاءِ؛ لتكونَ الجملةُ على الغايةِ منَ الكمالِ في الفظاعةِ والتّهويلِ[2].

المتشابهُ اللّفظيُّ:

لمّا قوِيَ معنى الشّرطِ في الآيةِ الأولى أدخلَ الفاءَ، ولمّا تعيّنَ الخبرُ في الثّانيةِ حذفَها

دخلَ حرفُ الفاءِ على حرفِ التّنفيسِ في قولِه تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [الأنعام: 135]، بينما جاءت آيةُ هودٍ عُريًّا منه في قولِه تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ فيُسألُ عن إثباتِه هناكَ، وحذفِه هنا معَ اتّفاقِ الآياتِ بالتّهديدِ والوعيدِ؟[3]. والجوابُ عن ذلكَ: أنّ آيةَ الأنعامِ فيها خطابٌ لكفّارِ العربِ من هذهِ الأمّةِ، وقد افتتحَ خطابَهُ بوعيدِهم فتقوّى في هذا الخطابِ تقديرُ الشّرطِ المنجزِّ تقديرهُ في الأوامرِ كأمرِه بأنْ يقيموا الصّلاةَ، ثمّ أمرِه ﷺ ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ [الأنعام: 135]، والفاءُ إنّما أُدخلَتْ لِمناسبتِها الشّرطَ، وهي الفاءُ الجوابيّةُ، أمّا آيةُ هودٍ ففيها إخبارٌ للرّسولِ ﷺ فعُرّيتِ الجملةُ عنِ الفاءِ[4].

وثمّةَ فرقٌ بينَ التّعبيرينِ، فآيةُ هودٍ المستأنفةُ العاريةُ منَ الفاءِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/424.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/392.
(3) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/171.
(4) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/171 - 172.

أبلغُ في الدّلالةِ؛ لِما في خطابِ شعيبٍ ﷺ قومهُ منَ الشّدّةِ بقولِه: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ ما ليسَ في خطابِ آيةِ الأنعام بقولِه: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ [الأنعام: 135] المأمورُ بهِ الرّسولُ (1)ﷺ؛ فهو خطابٌ ليّنٌ هيّنٌ؛ فلم يستأنفْ هذهِ الجملةَ بل ألحقَها بما قبلَها بالفاءِ الرّابطةِ.

وثمّةَ فرقٌ آخر بينَ الجملتينِ؛ فإنَّ سياقَ آيةِ هودٍ تبليغٌ من شعيبٍ ﷺ، وجملةُ ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ من كلامِه، وفيها تهديدٌ لهم، أمّا آيةُ الأنعام فالكلامُ لهُ تعالى؛ فجاءَ بالفاءِ ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: 135] المؤذنةِ بالمبالغةِ في التّهديدِ، فما كانَ تهديدُهُ أقلَّ عُرِّيَ منَ الفاءِ، وما كانَ تهديدُهُ أكبرَ اقترنَ بالفاءِ.

فائدةُ التّعبيرِ بحرفِ التّنفيسِ ﴿سَوۡفَ﴾:

تأكيدُ الوقوعِ في المستقبلِ، وهو صريحٌ في التّهديدِ

استُعملَ حرفُ التّنفيسِ في قولِه تعالى: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾؛ لإرادةِ توكيدِ الوقوعِ في المستقبلِ، وأنّ علمَهُم واقعٌ بعدَ حينٍ، وفيهِ تصريحٌ بتهديدِهم؛ لأنَّ في هذا الخبرِ علمًا بوقوعِهِ لا محالةَ(2).

سرُّ إيثارِ التّعبيرِ بالعلمِ:

العلمُ مُتعلِّقٌ بالصّفاتِ التّفصيليّةِ، والمعرفةُ مُتعلِّقةٌ بالذّواتِ

عبّرَ بالعلمِ في قولِه تعالى: ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ دونَ المعرفةِ (تعرفونَ)؛ لأنَّ العلمَ مُتعلِّقٌ بصفاتِ الذّواتِ وأقسامِها، والمعرفةَ مُتعلِّقةٌ بالذّواتِ، وبيانُ ذلك أنّك إذا قلتَ: (علمتُ زيدًا قائمًا) لم يكنِ المقصودُ أنّ العلمَ تناولَ نفسَ زيدٍ حسبُ، وإنّما المعنى أنّ العلمَ تناول كونَ زيدًا موصوفًا بهذه الصّفةِ. فالعلمُ يتعلَّقُ بصفةِ الشّيءِ وحكمِه وبالكلّيّاتِ، والتّفصيلاتِ، أمّا تعلُّقُ المعرفةِ فبالجزئياتِ(3).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/153.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ92.
(3) أبو البركات الأنباريّ، منثور الفوائد، ص: 44، والخضريّ، حاشية الخضريّ: 1/153.

وحصولُ العلم لديهم بمنِ اتّصفَ بإتيان العذابِ والكذبِ أبلغُ من معرفةِ شخصِه، فهُم قد يعرفونَ ذاتَه وشخصَه.

سرُّ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

تجدُّدُ العلم يُنبئُ عن تجدُّدِ الحسرةِ والنَّدامةِ

بعدَ أن هدَّدَهُم في أوّلِ الآيةِ بفعلِ الأمرِ أوردَ قولَه تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وهو تهديدٌ ووعيدٌ وتحذيرٌ دالّةٌ صيغتُهُ المضارعة على المستقبلِ[1]؛ لأنّ نزولَ العذابِ سيكونُ بعدَ حينٍ، فهو إخبارٌ بالغيبِ عمّا سيكونُ من تجدُّدِ العلم المنبئِ عن تجدُّدِ الحسرة والنَّدامةِ.

سرُّ التّعبيرِ بلفظ ﴿مَن﴾:

احتمالُ (مَنْ) بين الموصوليَّةِ والاستفهام

استعملَ ﴿مَن﴾ دونَ (الّذي) في قولِه تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ لأنّها منَ الألفاظِ المشتركةِ الدّلالةِ؛ فقد تحتملُ الموصوليّةَ، وقد تحتملُ الاستفهامَ، وليسَ كذلكَ معَ الّذي، فهو لفظٌ معيّنُ الدّلالةِ لا ينفكُّ عن الموصوليّةِ، ولمّا كانَ اللّفظُ في الجملةِ يحتملُ الاثنينَ حَسُنَ التّعبيرُ بـ ﴿مَن﴾، فالمعنى على الموصوليّةِ: سوفَ تعلمونَ الشّقيَّ الّذي يصيبُهُ العذابُ المُخزي، والّذي هو كاذبٌ، والمعنى على الاستفهام: سوفَ تعلمونَ أيُّنا يأتيهِ عذابٌ يُخزيهِ، وأيُّنا يكونُ كاذبًا[2]، مع دلالتها في الوجهين على العموم.

سرُّ تنكيرِ ﴿عَذَابٌ﴾:

تهويلُ العذابِ وتعظيمُ شأنِه

وردَ العذابُ مُنكَّرًا في قولِه تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ لما فيهِ من الإشارةِ إلى أنّهُ نوعٌ مجهولُ الكمِّ والكيفِ؛ فيذهب فيهِ الذّهنُ كلَّ مَذهبٍ، فهو لغرضِ التّهويلِ والتّعظيم، ثمَّ وصفهُ بالإخزاءِ لدفعِ الإيهامِ بقلّتِه، وتأكيدًا على بلوغهِ مَبلغًا يستحقُّهُ المخاطَبونَ.

توجيهُ تخصيصِ وصفِ العذابِ بالخزي:

لمّا أوعدوهُ بالرَّجم لوَّحَ لهم بالخزي

لم يكتفِ بقولِه تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ مع كونه تامّ المعنى

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وبيانه: 4/500.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/202.

وزادَ عليهِ لفظ ﴿يُخۡزِيهِ﴾ وصفًا للعذابِ؛ لأنّهُ وصفَ عذابَهم المستحقَّ بالإخزاءِ من بابِ التّعريضِ؛ فإنّهُم وعدوهُ ﷺ بالرّجم؛ فجاءَ بهذهِ الصّفةِ الدّالّةِ على زيادةِ الخزي الظّاهرِ معَ كونهِ عذابًا، وذلكَ لا يكونُ إلّا عن جنايةٍ عظيمةٍ أوجبَها عليهِمْ[1] بمدعاةِ كفرهِم وكذبِهم وانطماسِ بصيرتِهم.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعليّةِ ﴿يُخۡزِيهِ﴾:

إتيانُ العذابِ المُخزِي مُرتقَبٌ، وليس كذلك كذبُ الكاذبِ

جاء النَّظمُ بصيغة الفعل المضارع في قولهِ تعالى: ﴿يُخۡزِيهِ﴾ دونَ الاسميّةِ، كما فعلَ معَ ﴿كَٰذِبٌ﴾؛ وذلك لأنّ إتيانَ العذابِ مُرتقَبٌ، وليسَ كذلكَ معَ الكذبِ، بل المُرتقَبُ ظهورُ الكذبِ السّابقِ المستمرِّ[2]، فكأنَّ الكذبَ صفةٌ ذاتيةٌ منهُم، وإتيان العذاب المُخزِي أمرٌ فعليٌّ يحدثُ جزاءَ أفعالهِم.

معنى الواوِ ودلالتُها:

الاكتفاءُ بذكرِ عاقبةِ الظّالمين رفعةٌ لشعيبٍ عليه السلام

الواوُ في قولهِ تعالى: ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٌۖ﴾ دالّةٌ على العطفِ؛ فقد عطفَ صفةَ الكذبِ على صفةِ الخزي الملحقةِ بهم؛ فتكونُ كلتا الصّفتينِ في الجملتينِ للكافرينَ من بابِ عطفِ الصّفةِ على الصّفةِ، والموصوفُ واحدٌ مثلَما يُقالُ للمُذنبِ: ستعلمُ منْ يهانُ ومنْ يعاقبُ، والكلامُ لهُ جميعًا، وفي ذلكَ دلالةٌ على ذكرِ عاقبةِ المحقِّ الصّادقِ على وجهِ التّعريضِ، وهو أبلغُ وأوقعُ منَ التّصريحِ؛ فاستغنى عن ذكرِ عاقبةِ شعيبٍ بذكرِ عاقبتهِم[3]. وقد مرَّ مثلُ ذلكَ في قولهِ سبحانه: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ۝٤٠﴾ [الزّمر: 39 - 40]؛ إذِ اكتفى بذلك عن أن يقولَ: ومَن هو على خلافِ ذلك، ونظيرُهُ ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ﴾ [الأنعام:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/237.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/237.
(3) زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 4/690.

135]؛ إذ ذكرَ فيه إحدى العاقبتَين؛ لأنّ المرادَ بهذه العاقبةِ عاقبةُ الخير؛ لأنّها متى أُطلِقَت لا يَعني إلّا ذلكَ، نحو: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128][1].

يـوم القيامة يُفضحُ المُدّعي كذبًا

وفي العطف تعريضٌ أيضًا بكذبِهم في ادّعائِهمُ القوّةَ والقُدرةَ على رجمه ﷺ، وفي نسبتِهِ إلى الضّعفِ والهَوانِ، وفي ادّعائِهمُ الإبقاءَ عليه لرعايةِ جانبِ الرّهطِ[2].

دلالةُ ذكرِ ضميرِ الفَصلِ:

الإيـمـاءُ بـاخـتـصـاصِ أحـدِ الفريقين بالكذبِ

دخلَ الضّميرُ المنفصلُ ﴿هُوَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾؛ لأنَّ العربَ لا تقولُ: مَنْ قائمٌ، بل تقولُ: مَنْ قامَ؟ ومَنْ يقومُ؟ ومَنِ القائمُ؟، فلمّا فُقِدَ (فعلَ) و(يفعلُ) و(المعرفةُ) أتوا بالضّميرِ ليقومَ مقامَ ذلكَ[3]، مع ما فيه منَ القوَّةِ اللَّفظيَّة والإشعارِ بالاختصاصِ، كأنَّه قال: ومَن هو المستحقُّ بوصفِ الكذبِ فينا، فيختصُّ به دونَ الآخرِ، ويقتصرُ عليه؛ فضميرُ الفصلِ يُؤكِّدُ معنى الاختصاصِ، والقصرِ، وحصرِ المُسندِ على المُسندِ إليه، ويمنعُ المشاركةَ؛ فالمستحقّونَ هم الكاذبونَ وحدَهم، لا يشاركُهُم في ذلك أحدٌ، وفيه معنى بلوغِ الغايةِ، والكمالِ في الوصف.

توجيهُ تخصيصِ الكذبِ بالذِّكر:

الـواثـقُ بالله تـعـالى يـأتي بتُهم الخصوم لـتـعـكـيـسِ كلامهم وقلبِ غاياتِهم

لَمّا صُدِّرَت الآيةُ بذكرِ عملِهم على مكانتِهم، وعملِه على مكانتِه، ثمَّ أتبعهُ ذكرَ عاقبةِ العاملينَ منهُ ومنهُم، كانَ القياسُ أن يقولَ: مَن يأتيهِ عذابٌ يخزيهِ، وهذا جزاؤهمْ، ومَنْ هو صادقٌ؛ تعبيرًا عن نفسِه، لكنّهُ عدلَ عن ذلكَ إلى قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾، فجاءَ بوصفِ الكاذبِ؛ لأنّهم لمّا كانوا يَدعونهُ كاذبًا - وهو الجاري على ألسنتِهم -

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/322.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/237.
(3) الفرّاء، معاني القرآن: 2/26.

جاءَ بهذا الوصفِ المزعومِ المُدَّعى منهم من بابِ التّجهيلِ لهُم[1]، ومن بابِ تحدِّيهم، فإنَّ ثقةَ الصّادقِ تجعلُه يلقي كلامَ الخصم دونَ تردُّدٍ، وهو صادقٌ مَصدوقٌ، لكنّهُ عبَّرَ بهذهِ الصّفةِ "حسب زعم المُخاطَبينَ، أعني: المُشركينَ؛ إذْ إخراجُ الكلام على وفقِ اعتقادِ المخاطَبينَ اللّئام ممّا شاعَ في كلام البلغاءِ ومحاوراتِ الفصحاءِ"[2].

معنى الواوِ ودلالتُها:

الواوُ في جملةِ ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ للعطفِ، غيرَ أنّها عطفتْ هذهِ الجملةَ على جملةِ ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾[3] الدّالّةِ على التّهديدِ؛ فتكونُ جملةُ ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ مُعترِضةً بينهُما.

علّةُ الفَصلِ:

فُصِلتِ الجملةُ الاسميّةُ ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّها تعليلٌ للأمرِ الدّالِّ على فعلِ الارتقابِ، وهو من كلام شعيبٍ[4] عليه السلام، مع ما يشوبُ هذه الجملةَ منَ الثّقةِ التّامّةِ، والطّمأنينةِ الكاملةِ، والتّحدِّي الصّارخِ، ما يجعلُ الأصدافَ تتفتّحُ، والأحجارَ تتشقّقُ.

تعليلُ المؤمنِ صادرٌ عن قلبٍ مُطمئنٍ وعقلٍ واعٍ

دلالةُ التّأكيدِ:

قولُهُ تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ تذييلٌ لرقابتهِ عليه السلام، وقد صدّرها بـ (إنّ) الدّالّةِ على التّوكيدِ؛ فإنّهم لمّا كانوا يكذّبونَهُ، وينكرونُ أقوالَهُ، وما يعدُهُم بهِ أكّدَ ذلكَ بقولهِ: ﴿إِنِّي﴾[5]؛ فإنّه لا يفقهُ المواعظَ والتّذكيرَ إلّا أهلُ الإيمانِ والتّنويرِ.

لا يفقهُ المواعظَ والتّذكيرَ إلّا أهلُ الإيمانِ والتّنويرِ

سرُّ التّعبيرِ بالمعيّةِ:

لمّا ذكرَ النّظمُ رقابةَ شعيبٍ عليه السلام، وأكّدَها بإنَّ، أضاف لها قيدًا؛

لا يفارقُ المؤمنون مشاهدَ الدَّعوةِ بل ينتظرون الأمرَ من صاحبِ الأمر

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/424 - 425.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاويّ: 10/188.
(3) الدّرّة، إعراب القرآن وبيانه: 4/501.
(4) الدّرّة، إعراب القرآن وبيانه: 4/501.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/366.

وهو صفةُ المعيّةِ بقولِه تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ففي هذا القيدِ "إظهارٌ منهُ ﷺ لكمالِ الوثوقِ بأمرِه"[1]؛ فلا يدخلُ الشّكُّ في نفوسِهم منْ أنّهُ سيتركُهُم، وما ذلكَ إلّا لثقتِهِ بسوءِ عاقبتِهم وحسنِ خاتمتِهِ، وهو شأنُ الثّابتين في صراط اللّهِ المهتدين، أنَّهم يبلِّغون رسالاتِ اللّه تعالى، ولا يفرُّون، بل ينتظرونَ مآلَ الأمرِ من صاحب الأمرِ.

سرُّ تقديم الظّرفِ ﴿مَعَكُمْ﴾ على المُسندِ ﴿رَقِيبٌ﴾:

قُدِّمَ الظّرفُ ﴿مَعَكُمْ﴾ على المسندِ ﴿رَقِيبٌ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ لتحصيلِ فائدةِ القصرِ؛ لأجلِ المبالغةِ؛ فكأنّهُ جعلَ نفسَهُ رقيبًا معهُم لا غيرهُم على سبيلِ المبالغةِ لا الحقيقةِ؛ فإنَّ المعيّةَ ليستْ مقصورةً عليهم حقيقةً، ولكنّهُ أرادَ الإيحاءَ بأنّهُ مسخِّرٌ نفسَهُ معهم، وفي هذا التّعبيرِ ما يوحِي بثقتِهِ بالمصيرِ، وأنَّ صدقَه يجعلُه واثقًا منَ المآل.

إفـادةُ الحصرِ للمبالغةِ، فكأنّه جعلَ نفسَهُ رقيبًا معهُم وحدَهم

سرُّ التّعبيرِ بقولِهِ تعالى: ﴿رَقِيبٌ﴾، مفردةً وصيغةً:

التّعبيرُ عن رقابتِهِ ﷺ بصيغةِ فعيل ﴿رَقِيبٌ﴾ لا باسم الفاعلِ "فلم يقُلْ: مُرتقِبٌ، إشارةً إلى أنَّ همَّهُ الاجتهادُ في العملِ بما أمرَهُ اللّهُ؛ لأنّهُ مُبالِغٌ في ارتقابِ عاقبتِهِ معهُم استهانةً بهم"[2]، ولأنّهُ أرادَ أن يكونَ هذا الوزنُ محتملًا لمعانٍ عدّةٍ، فقد يكونُ بمعنى الرّاقبِ كالضّريبِ بمعنى الضّاربِ، وقد يكونُ بمعنى المُراقبِ، كالنّديم بمعنى المنادم، وقد يكونُ بمعنى المُرتَقِبِ كالفقيرِ بمعنى المُفتَقِرِ[3]، فهذهِ معانٍ مُتوقَّعةٌ مُحتمَلةٌ لما يعطيه هذا الوزنُ من تعدُّدٍ في المعنى.

الرَّقيبُ ذو منزلةٍ عاليةٍ ومكانةٍ رفيعةٍ

واستعملَ مفردةَ ﴿رَقِيبٌ﴾ الدّالّةَ على العلوِّ؛ ليشيرَ إلى أنّهُ ﷺ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/237.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/366.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/392.

في مكانٍ عالٍ يشرفُ على هؤلاءِ القوم الكافرينَ، وهم دونَهُ يلقونَ العذابَ المهينَ؛ فهو في مَرقبٍ عالٍ كالقاضي يعلو منصّةَ القضاءِ[1].

فنُّ ردّ العجُزِ على الصّدر:

في قولهِ تعالى: ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾، ردَّ عجُزَ الجملةِ على صدرِها؛ إذ وافقَت كلمةُ ﴿رَقِيبٞ﴾، وهي آخر كلمةٍ في الكلام، أوّلَ كلمةٍ في صدرِه، ليُسهمَ في ترسيخِ معنى اشتراكه معهم في المراقبةِ يقينًا منه عليه السلام بتحقُّقِ وعدِ اللّهِ بعذابِهم.

من أماراتِ النّبوّة اليقينُ بوعد الله

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الارتقابُ والانتظارُ:

"الانتظارُ طلبُ ما يقدرُ النّظرُ إليهِ، ويكونُ في الخيرِ والشّرِّ، ويكونُ معَ شكٍّ ويقينٍ"[2]، أمّا الارتقابُ فهو من مادّةِ (رقب) بمعنى الحفظِ والانتظارِ، إلّا أنّهُ يتوفّرُ على معنًى آخر يميّزُهُ من لفظِ الانتظارِ، وهو أنّهُ يكونُ مُشرفًا من مَوضعٍ عالٍ[3].

الانتظارُ طلبُ النّظرِ، والارتقابُ انتظارٌ من علٍ معَ الخوفِ

ولهُ مزيّةٌ أخرى ترجّحُ مواءمتَهُ لسياقِ الآيةِ وقصّتِها، وهو أنَّ الارتقابَ يدلُّ على الانتظارِ مع حصولِ الخوفِ، وأنّه أكثرُ ما يُستعملُ في المكروهِ[4]، وما كانَ ارتقابُهُم إلّا عن خوفٍ ووجلٍ، وما كانَ مآلُ الارتقابِ إلّا عاقبةَ العذابِ الّذي أوعدوهُ من شعيبٍ عليه السلام.

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1193.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 75.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (رقب).
(4) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 233.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»